

عندما ينطلق إصلاح منظمة التحرير من مقررات أوصلو

ناصر ابو نصار*

الوطني الفلسطيني، يعيد إلى الأذهان النهج المتبع في اللعب بورقة الهوية من قبل الطرفين في إدارة ملفات أزماتهم السياسية المستعصية، بغرض التخفيف من حدتها، فإذا كان النظام الأردني قد نجح، استناداً إلى لعب ورقة الهوية، بخلق انسلاخ طولي، وتشويه لمكونات المجتمع بهدف ضرب آفاق التغيير الثوري الديمقراطي الذي سيطاوله؛ فقد فشلت منظمة التحرير عبر تجربتها التاريخية في تجاوز شروط هذه اللعبة التي وضعت نفسها في سياقها وباتت تستخدمها اليوم في مواجهة أزماتها الراهنة. إن اللعب بهذه الورقة يستوجب منا إعادة الاعتبار لحقيقة الصراع بكونه ليس صراعاً فلسطينياً - إسرائيلياً بقدر ما هو صراع تحرري شامل، يقف في مواجهة المشروع الإمبريالي الاستعماري التفتيتي، وإن قاعدة المواجهة فيه متجاوزة أصلاً للنظام الرسمي العربي، ومستندة إلى القاعدة الشعبية الرفضية للاستعمار والتبعية. عبر إعادة الاعتبار للوجه الحقيقي للصراع، يخلق الفلسطيني العضوي والأردني العضوي والمصري العضوي، بحيث يضطلعون بمهام مختلطة لكونهم مناضلين عضويين في مشروع التحرير العربي الشامل، لا يقف أي منهم على خط الحيد ويتباهون بالتباه هوياتي أملتة عليهم استراتيجيات إدارة الصراع المفروضة من أنظمة التبعية التي تدور في فلك المشروع الإمبريالي. هكذا أصبح الفلسطيني العضوي في الأردن مشاركاً مباشراً في إنجاز مهمات التغيير الثوري الديمقراطي في الأردن، ومشاركاً مباشراً في تصحيح مسار البوصلة السياسية الفلسطينية وإطلاق المقدرات الثورية للشعب الفلسطيني وإنجاز مشروعه في العودة وتحرير كامل الأراضي المحتلة. يسانده في ذلك الأردني العضوي وكل المناضلين العضويين العرب، قاطعين الطريق بذلك أمام كل المتلاعبين بورقة الهوية.

إن المضي قدماً في عزل اللاجئ الفلسطيني - العضويين، يحمل في ثناياه بذوراً لأنفجارات مقبلة لا يقف فيها اللاجئون مكتوفي الأيدي حيال استثنائهم وسلبهم حقهم في تمثيل أنفسهم وتصحيح المسار الكفاحي لمنظمة التحرير الفلسطينية عبر رفضهم للتواطؤ ومشاركتهم في إدارة الصراع مع العدو الصهيوني في إطار مشروع التحرير الشامل، من شأنه أن يجعل من مهمة إعادة تعريف «الممثل الشرعي والوحيد» وتنظيف هذا الشاعر من العالقين به من رواد صالات أوصلو ودهاليز العملية السلمية مهمة ملحة سيضطلع بها جموع اللاجئين بأيديهم المجردة بالتكامل مع مشروع قوى التغيير العربية التقدمية.

* كاتب فلسطيني مقيم في الأردن

استثنت مسودة مشروع نظام انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني، المنبثقة عن اجتماع «لجنة تفعيل منظمة التحرير»، الذي انعقد منذ أيام في عمان، والتي شاركت فيها كل الفصائل الفلسطينية، بما فيها حركتنا حماس والجهاد الإسلامي، الأردن من تعريفها لمناطق الشتات الفلسطيني. إذ استثنى اللاجئون الفلسطينيون المقيمون في الأردن من المشاركة في انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني المزمع إجراؤها في أيار المقبل، بالإضافة إلى احتكام العملية الانتخابية لاتفاق أوصلو و«التزامات» منظمة التحرير الفلسطينية تجاه دولة العدو الصهيوني، بما يعني التزام أي مجلس وطني فلسطيني قادم بالاعتراف بدولة العدو الصهيوني وإقصاء فلسطيني الداخل المحتل عام 1948 أيضاً من التمثيل في المجلس الوطني الفلسطيني. إن الخطورة التي تنطوي عليها قرارات «لجنة تفعيل منظمة التحرير»، في إطار هذه المشاركة الفصائلية الواسعة، تأتي في السياق المحدد لما يسمى «المصالحة الوطنية الفلسطينية» والتي يتم ترتيب فصولها على قاعدة اتفاق أوصلو و«التزامات» منظمة التحرير. وهو ما يؤكد صحة الاستخلاصات التي ذهبت إلى القول إن حركة حماس غارقة في الحل السلمي حتى ذنقها، ابتداءً من اتفاق القاهرة في 2005، وصولاً إلى اتفاق القاهرة 2011 الموقع في أيار الماضي. إن هذا السياق يكشف وجه المحاصصة السلطوية بين كل من حركتي فتح وحماس، وينفي بطبيعة الحال الخلافات المعلنة للشعب الفلسطيني بين أكبر فصليين من كونها خلافات بين نهج - نهج المقاومة ونهج العملية السلمية. فتلك المقررات تضع الجميع على قاعدة واحدة، هي قاعدة اتفاق أوصلو والعملية السلمية، وتطيح في الوقت ذاته الطروحات التي ترى في الأزمة السياسية

إذا كان النظام الأردني قد نجح بخلق انسلاخ طولي، فقد فشلت منظمة التحرير في تجاوز شروط هذه اللعبة

الفلسطينية «أزمة تمثيل سياسي» تحل بطريق المصالحة ووحدة الصف الفلسطيني والبدء بعملية ديمقراطية. فالأزمة ليست أزمة تمثيل كما هو واضح لنا، بقدر ما هي أزمة المشروع السياسي الفلسطيني وأفاقه. وبذلك يخلق هذا المشروع السياسي الذي يرفع شعار إصلاح منظمة التحرير مازقاً، عندما تكون القاعدة السياسية التي تنطلق منها اتفاقية أوصلو ومقررات دهاليز العملية السلمية والاعتراف بدولة العدو الصهيوني. هكذا يكون استثناء اللاجئ الفلسطيني في الأردن من المشاركة في انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني ترسيخاً لمقررات الواقع (أوصلو - وادي عربة - احتكار التمثيل الفلسطيني بالسلطة الوطنية الفلسطينية) وتغيب اللاجئ، وإمعاناً في عزل أكبر كتلة بشرية من اللاجئ الفلسطيني، وإخراجها من دائرة الانضمام في مواجهة المشروع الصهيوني. وبغض النظر عن «النيات الطيبة» التي أعلنها أعضاء المجلس، عن أن هذا الاستثناء لا يأتي في سياق مشروع التواطؤ، وأنه أتى في إطار تفاهم أردني فلسطيني (لكون الفلسطينيين المقيمين في الأردن لهم حق الانتخاب والتمثيل في البرلمان الأردني) وأن هذا الاستثناء لا يعنى التنازل عن حق العودة، فإن هذا التبرير المغضوح لا يثبت من نياته الطيبة شيئاً، بل يؤكد مقررات الواقع، ويجعلنا نتكهن بأن سلسلة الاستثناءات قد تمتد لتشمل لاجئ كل من لبنان وسوريا بذرائع مختلفة. ذلك أن الغاية الحقيقية التي تطيح شعار المعلن «إصلاح منظمة التحرير» هي إعادة صياغة المحاصصة السلطوية ودمج حماس في إطار مشروع التسوية السلمية على قاعدة أوصلو.

إن إخراج اللاجئ الفلسطيني المقيمين في الأردن، استناداً إلى قاعدة تفاهم أردني - فلسطيني من دائرة التمثيل في المجلس



الهدية النقدية مخالفة لسيادة لبنان؟ ثم ما سر الزيارة المفاجئة لديي من قبل رئيس لبنان؟ ثم لماذا وكيف شكر حكومة دولة الإمارات على استضافتها للبنانيين مع أن تلك الحكومة عملت على امتداد الاستثنائيين الماضيتين على طرد لبنانيين بسبب انتمائهم المذهبي؟ لا نريد أن نصدق أن سليمان كان يبدي موافقة على الطرد المذهبي التعسفي من قبل حكام النفط والساعين بحماسة إلى خدمة إسرائيل في المنطقة، والذين استضافوا فرقة من أغنياء الموساد لقتل مسؤول في حماس، لكن انكشاف أمر الفرقة أخرج الطرفين.

لا، يا ميشال سليمان، لا يحتاج لبنان إلى استعارة حماية أجنبية عدوة مرة أخرى. هل تريد أيضاً تنفيذ الطلب الأميركي لوضع قوات غربية على الحدود مع سوريا؟ ولو كان الأمر بيدك، هل كان في لبنان قوات أجنبية متعددة: اليونيفيل وقوة بحرية «لحماية» أعمال التنقيب وقوة على الحدود مع سوريا، وماذا أيضاً؟ ماذا لو طالب مجلس الأمن لبنان بقبول قوات خاصة ناتوية مطعمة بعملاء من إسرائيل للتفتيش عن قتلة رفيق الحريري؟ إن الدفاع عن لبنان لم يعد ملكاً للدولة اللبنانية. تحلّت عنه طوعاً منذ سنوات طوال. الدفاع عن لبنان وحتى تقرير مصيره الاستراتيجي لم يعودا بيد الدولة ولا حتى بيد الشعب اللبناني غير العظيم كما في تاريخ مقاومات الاحتلال، تستولي المقاومة على مقدرات الدولة. طبعاً، هناك في لبنان ما يحول دون ذلك. الدولة طائفة حتى العظم والفريق المركزي في المقاومة ذو بنية طائفية مُعيقية. لكن حقبة مقاومة الاحتلال لا تقرض فقط صمت المتسكعين والمنظرين بل محاكمة مرشدي الاحتلال وناصحيه على طريقة وليد جنبلاط ومروان حمادة وبطرس حرب وإلياس المر في «ويكيليكس».

إذا كنت، يا ميشال سليمان، عاجزاً عن تأمين حماية لأعمال التنقيب عن النفط والغاز في البحر، كما كان لبنان عاجزاً عن حماية الوطن من عدوان إسرائيل، فما عليك إلا الاعتراف بالعجز في خطاب طويل تصارع فيه الشعب اللبناني وتقدم فيه استقالته. لكن اطمئن. هناك من يتطوع للدفاع عن لبنان. تنحّ ودع غيرك يقوم بالواجب الوطني. طبعاً، لن يحول ذلك دون استمرارك في السعي نحو الأسفار.

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا (موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

رؤوس اللبنانيين. السيئ الذكر أمين الجميل وممثل الأمير سلطان في لبنان، صائب سلام، كانا يزهران باهتمام رونالد ريغان بلبنان، مع أن الأخير كان صريحاً وقال إن اهتمامه بلبنان نابع من اهتمامه بإسرائيل. هل هناك جانب من السيادة في لبنان لم يبيعه لبنان بثمن بخس من دول عربية؟ حتى بصمات اللبنانيين بيعت، أو مُنحت، لحلفاء إسرائيل حول العالم. شُرعت أبواب الدولة أمام عملاء إسرائيل من كل حذب وصبوب. سليمان كان قائداً للجيش عندما تسرب غسان الجند وترفع إلى منصب نائب رئيس الأركان (أي ثالث أعلى منصب في الجيش اللبناني قاطبة)، لكن من حاسب من وقع قرارات التوقيع على ترفيع العميل الإسرائيلي الأول في لبنان؟ من كان مسؤولاً عن قرارات أدت إلى تهريب الحد خارج لبنان؟ لا يضيف فخراً الحلف الوثيق لإلياس المر (لكن سليمان عاد وعتب على المارشال المر بعدما فضح المر نفسه في «ويكيليكس»)، إذ لم يترك أحداً لم يصوب عليه بالنميمة والقدح والذم حتى والده. المارشال المر من تركه رستم غزالة القذرة في لبنان).

لم يمر في تاريخ لبنان من احتل سدة الرئاسة ولم يترك فيها أثراً مثل ميشال سليمان. هل ستذكره كتب التاريخ؟ قد تذكره كتب تاريخ أخرى لأنه أصر في حماة الصراعات المذهبية والطائفية أن لبنان يجب أن يصبح مركزاً لحوار الحضارات والأديان. مركز لصراع الطوائف والمذاهب؟ معقول جداً. هل يريد للناثو أن يأتي إلى لبنان ليحل أزمة السير؟ هل يريد للناثو أن يقصف بالصواريخ مواقع مخالقات الكهرباء (وهي واقعة في مناطق محض إسلامية، على ما يصرح - لا يلمح الوزير الطائفي الطموح، جبران باسيل، والذي يظن أن مصادره لعون تجعله أكثر اللبنانيين ذكاءً وقدرة وكفاءة)؟ هل يريد من الناثو أن تقصف الجبال والتلال لتسهيل عمل الكسارات؟

ثم هناك سؤال مشروع يا رئيس لبنان. من المعروف أن السعودية دولة الإمارات تغدقان مبلغاً من المال (هدية) على كل رئيس لبناني جديد (كان المبلغ نحو 5 ملايين دولار في عهود سابقة)، هل يمكن أن نسال عن هذا المبلغ؟ أخبرني الصحافي الرصين، رفيق خوري، أن إلياس سركيس استعمل جزءاً من المبلغ ثم أودعه مع الأمين على أموال الدولة، أمين الجميل. ماذا حدث للمبلغ؟ وهل كانت



قريبة احد المعتقلين في غزة (أ ف ب)